الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص.ب : ٤١٢٣ بيروت ـ تلفون : ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle

Beyrouth - Liban

B. P. : 4123 - Tél. : 232832

صاحبها ومديرها المسؤول

الدكتور سهيل إدريس

Propriétaire - Directeur

SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير

عايدة مطرجي إدريس

Secrétaire de rédaction

AIDA M. IDRISS

*

الادارة

شارع سوريا ـ بناية درويش

الاشتراكات

في لبنان : ١٢ ليرة ■ في سوريا ١٥ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان او ستة دولارات

في أميركا : ١٠ دولارات ■ في الارجنتين ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ليرة لبنانية او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

الاعلانات

يتفق بشانها مع الادارة

ندوة « الآداب »

الادب والحياة

اشترك فيها : حسين مروة ، ادونيس ، خليل رامز سركيس ، عايدة مطرجي ادريس

* ● *

عايدة مطرجي ادريس : موضوع هذه الندوة ليس موضوعا جديدا فقد عولج كثيرا ، واهتم به النقاد والادباء ، منذ زمن بعيد . على اننا نعتقد ان بريقه لم يذهب ، بل هو سيتجدد تجدد الحياة الانسانية . فما دامت هناك حياة ، وما دامت هناك انسانية فستظل لهذا الموضوع فاعليته في فهم الادب وتوجيهه ، فهما وتوجيها يختلفان باختلاف العصور والبيئات وحتى العقائد . وسنحاول دراسة هذا الموضوع من الناحية النظرية والتطبيقية ، اي ارتباط الادب بالحياة كفن يستوحي مادته من الحياة . فالى اي مدى ستظل الحياة، بمفهومها اليومي العادي، مهيمنة على الفن ، لتصبح حياة جديدة لها مفهوم آخر ، هي ايضا انصهار المفهوم العادي للحياة بالذات النفسية للفنان ، حياة ربما يكون فيها من الواقعية والصدق والحرارة او اللامنطقية واللامعقول اكثر مما في الحياة العادية .

سنحاول اذن ان ندرس علاقة الادب بالفن منذ بدأ الانسان يفلسف هذا المفهوم او يعيه ، فنحن نجد مثلا عند افلاطون مبدأ علاقة المثال والواقع وهو نوع من المفهوم العصري للواقعية والفن . كما ان انفصال الادب عن الذات في الادب الكلاسيكي هو محاولة لفصل الحياةعن الادب. اما في الادب الرومنطيقي فالادب تعبير عن الذات الانسانية وعلاقة الادب بالفن علاقة صميمية ومباشرة . ولم تتخذ الواقعية شكلها الرسمي ، في علاقة الادب بالمجتمع كما اتخذته في مدارس القرن التاسع عشر . اما تعبير الواقعية في الادب الحديث فقد تضمنه الادبالوجودي الذي حاول ان يجمع بين علاقة الادب بالحياة وعلاقة الاديب بحياته الخاصة ، وانتهت الى مفهوم الادب الملتزم بتعبيره العصري ... هذه الواقعية التي بدأت عند « فلوبير » ازهرت في الوجودية ، وفي الادب الاشتراكي بنوع خاص ، وحتى في ادب اللامعقول ، ذلك الادب الذي يعتبر ان الحياة نفسها لامعقولة . وان هذا الادب هو تعبير واقعي عن الحياة .

هذه هي الخطوط العامة من الناحية النظرية التي سنحاول ان نسير في طريقها . اما القسم الثاني من موضوعنا فسيكون تطبيقيا. الى اي مدى تاثر الادب العربي الحديث بشكل خاص بهذه المدارس والمفاهيم المختلفة ؟

ادونيس : ان علاقة الادب بالحياة شيء لا خلاف عليه . فجميع الفنانين كانت صلة نتاجهم بالحياة صلة خاصة تتفاوت بين فنان واخر . على ان الخلاف ربما يكون توجيه الحياة او عدم توجيهها . وانا لا استطيع ان اتصور اديبا او فنانا يكتب للفن او للادب . انني استطيع ان اتصور اختلافا في الحياة. وفهم مستويات الحياة مستمد من الواقع اليومي البسيط الى الواقع الروحي المعقد . وهنا توجد الخلافات .

عايدة : انت اذن لست من انصار الفن للفن او الكتابة للكتابة، ولا من اصحاب الرأي في الادب الموجه ولعلك تؤمن بالالتزام الطبيعي غير المفروض على ذات الفنان .

حسين مروة : انا اتفق مع الاستاذ ادونيس على ان الصلة بين الادب والحياة صحيحة لا خلاف عليها. ورايي ان الفن للفن غير موجود.

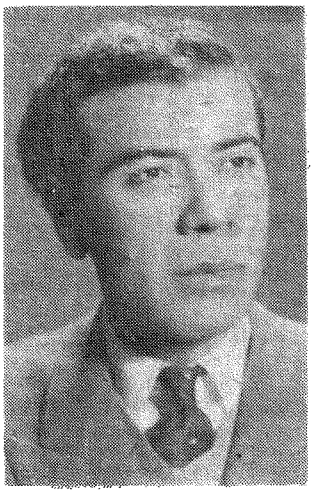

حسين مروة

ادونيس

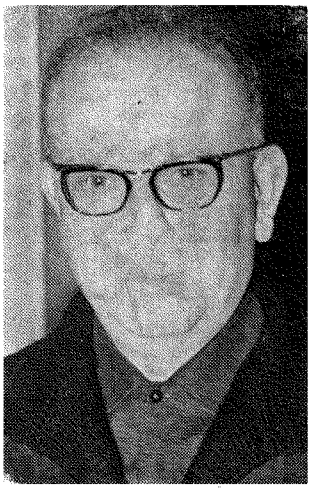

خليل سركيس

هذه حقيقة لا جدال فيها . حتى ان القائلين بالفن للفن يؤمنون بالتزام ما . وانا اتجنب تعبير « التزام » . لان دوافع الادب ليست دوافع مقصودة قد تدفع الانسان وترسم له الخط الذي سيسير عليه . قد تكون هناك ذاتية تتأثر بصورة من الصور تكون اعمق من التأثرات التي ستكون في الاشخاص العاديين . فهذا الاستعداد الذاتي ، بالاضافة الى التأثر بالحياة ، او بالاضافة الى البيئات التي ينبثق منها ، يكون الادب تلقائيا . انني اميل الى الاعتقاد بان الادب لا يخلو من عنصر تلقائي . وحتى المدرسة التي شاعت باسم الفن للفن كانت في الحقيقة نوعا من الالتزام . اي ان اصحاب هذه المدرسة يتجنبون التزامات من نوع اخر فيتهربون منها ويقولون « الفن للفن » بصرف النظر عن المنفعة . ولكنهم في اصرارهم على هذا الشعار كما في اصرار الذين يقولون بان العلم للعلم او الفكر للفكر ، يقابلون ويعارضون مذاهب أخرى . وهذا الموقف هو نوع من الالتزام . وانا اعتقد انه لا يخلو اتجاه في الادب من نوع من الالتزام . فالصلة بين الادب والحياة ، والادب ونتاج الحياة هي صلة وثيقة لا تمنع ان يضفي عليها الاديب ذاتيته . لان قيمة الادب تسمو وتنخفض بقدر ما تكون هناك ذاتية .

عائدة : اذن انت تؤكد ان الادب بما ان له علاقة وثيقة بالحياة فمعنى ذلك ان الاديب يعيش تلقائيا حياته الفنية فينتج تلقائيا ادبا ذا طابع فني دون ان يكون ملزما او مقسورا . ولكننا نعرف في التاريخ الادبي امثلة نجد فيها ان علاقة الادب بالحياة ليست علاقة اعتباطية او طبيعية خارجة تلقائيا من ذات الاديب . وهذا الالتزام اوحى بشكل من الالزام ، واصبح كعين ورقابة على الفنان ، وبدون ان يشعر اصبح كأنه ملزم بهذا التيار او بهذه العلاقة بين الادب والحياة .

مروة : انا اقصد بالتلقائية هنا عملية الخلق فقط . اما الرصيد الذي يتراكم في ذات الاديب فهذا ليس تلقائيا . بل يجب ان يتلون النتاج الادبي للاديب بطريقة فهمه للحياة وتفكيره وتفسيره لها . فالتلقائية التي اعنيها هي التي تحصل اثناء عملية الخلق . اما المهيئات والخمائر التي تنتج عنها عملية الخلق فتدخل فيها عوامل متعددة اهمها طريقة التفكير التي يلتزمها الاديب .

عائدة : انك توضح هنا الفرق بين الاديب كفنان يتلقى ويعطي بطريقة فنية وبين ان يكون عاكسا للمجتمع كما هو .

مروة : ليس فنانا من يعكس الواقع والمجتمع كما هو . لان الكاتب يتلقى الواقع كما هو ولكن ذاته التي تعتمل بعدة عوامل تصهر هذا الواقع من جديد ، متأثرا بمجموعة العوامل التي أشرت اليها من قبل : ١ ـ نوع الثقافة ، ٢ ـ مجموع الثقافة ، ٣ ـ الاتجاه الفكري ، ٤ ـ المؤثرات النفسية والفكرية . ولكن التلقائية ليست العنصر الوحيد . فهنالك ايضا عامل الوعي في عملية الخلق . غير ان قولي بالوعي لا يعني قولي بعكس الواقع كما هو ، فيخرج عن كونه فنا . ذاتية الكاتب، طاقاته ورؤاه وطريقة تفكيره الخاصة هي الاداة الفنية التي تخلق الواقع خلقا جديدا . اما نقل الواقع كما هو فما ذلك الا سرد وحكاية.

عائدة : هل هذا يعني انك ترفض النظرية التي تقول ان على الفنان ان يعكس واقع مجتمعه ، كما قالت بعض مدارس في فرض معطيات معينة على الاديب اتفق عليها المحيط أو المجتمع او العقيدة السياسية؟

مروة : قلت ان كل اديب له نظرة معينة للحياة وطريقة في التفكير وفي فهم الحياة يمكن ان تتفق مع الاخرين وفي كل بيئة موضوعات ومصطلحات معينة ومفاهيم ومقاييس يتأثر بها الكاتب . وقد يكون موقفه منها ايجابيا او سلبيا . وهذا يتبع طريقة التفكير والاحساس والرؤية للواقع . فهناك قوانين عامة وخاصة . والمقاييس هذه لا بد ان تكون موجودة في ذات الشخص ، ولكن الذاتية التي تتمتع بخصائص معينة غير متكررة ، تتفاعل مع المقاييس العامة . لا بد اذن من شيء خاص غير عام . وهذا التفاعل بين العام والخاص في ذات الفنان لا يلغي العام بل يتلون بلون ذاتي خاص مع ارتباط بالعام . فليس هناك ذاتية غير متأثرة ، ولا يوجد ادب ذاتي صرف . بل الذاتية تلون الواقع بلون الذات . تبقى الصلة بين ذات الاديب والمجتمع ولكن لا بد ان ينطبع المجتمع نفسه بذاتية الفنان او الكاتب .

عايدة : هذا واضح . فالاديب ينفعل بالمجتمع الذي يعيش فيه ، وهو يفعل فيه . ولكننا نلاحظ انه من الممكن ان تطغى المقاييس العامة على ذات الفنان ، فتجعل ادب فترة معينة نسخات متكررة .

ادونيس : عندئذ لا يكون الادب فنا .

مروة : لنأخذ العصر العباسي مثلا : كانت الموضوعات جديدة لان المجتمع كان جديدا . ولنتكلم عن الشعر لان النثر لم يكن ناجحا . سنجد شعراء يكررون الاشياء التي كانت سائدة فيسيطر فيها العام . وشعراء يأخذون العام ولكن من خلال ذاتيتهم . نرى ابا نواس متفردا بالرغم من كونه اخذ التعبيرات الجديدة للغة العربية انذاك وتأثر كثيرا بثقافة عصره ، ولكنه اذ تناول الموضوعات العامة والمفاهيم العامة فقد صهرها في نفسه فاذا فيها شيء من العام وشيء كثير من الخاص يتفرد به ابو نواس . وقد عكس فيها نظراته للمجتمع ونظراته الفلسفية والذاتية (التي ظهرت في شعر الخمرة بنوع خاص) فاذا نحن نجد

ثقافته ومأساته في صراعه مع عصره . أما الشعراء الاخرون الذين كرروا ذلك فلم يكونوا كما قال الاستاذ ادونيس من الفن بشيء . من هنا كان القليلون الذين تفردوا بالعصر العباسي وكثيرون الذين قلدوا. والذين قلدوا لم يكونوا فنانين . والقيمة للذين كان لهم طابعهم الذاتي ضمن الطابع العام . فابو تمام والبحتري كانا في عصر واحد . ولكن شعر أبي تمام شيء ، وشعر البحتري شيء اخر . فما نجده عند البحتري لا نجده عند ابي نواس أو عند ابي تمام . وقد اعطى كل منهم لادبه طابعا خاصا لم يظهر عند الاخرين . فاذا لم يوجد هذا الخاص في النتاج الادبي لم يكن الادب فنا .

عائدة : نستخلص من ذلك ان الاديب يتأثر بالبيئة ويعكسها .ولكن الشيء الهام هو تفاعل هذه البيئة بذاتية الفنان ، بل بطغيان الذاتية. ولكن لكي يكون الادب متطبعا بذات الفنان ، فان ذلك يفترض ان يكون الاديب حرا ، حرا في الاختيار وحرا في التأثر ، وحرا في عملية الخلق . أفلا تتعارض الحرية في ذات الفنان مع العام الذي يتفاعل معه؟

مروة : الحرية هي الاختيار . والاختيار يطبع الاديب كانسان بطابعه الخاص ويطبع بالتالي نتاجه . ولا يمكن لاحد ان يمنعه من ذلك .

عايدة : هل يمكن ان يكون ذلك صحيحا ؟ لو كان ذلك صحيحا لما كانت هناك مآس عاشها الفنان في صراعه مع نفسه وعصره وبيئته . الا تعتقد ان عدم الانسجام بين الفنان ومجتمعه يمكن ان يعوق الحرية ؟

مروة : الالتزام هو الحرية : اختيار الفنان اتجاهات معينة روحية او ثقافية . فعندما يختار الحرية فهذا التزام . فعبر نفسه يتحول الادراك الى مشاعر حية وتتحول بدورها الى نتاج ادبي يتميز بطابع خاص.الالتزام ليس ارغاما بل اختيار اتجاه فكري معين يتصل بالاحساس يتمسك به وجدانيا وفكريا واحساسيا ويخرج التعبير الوجداني عن هذا الاتجاه . واذن فالالتزام في الفن هو الحرية . وليس هناك تناقض بين الالتزام والحرية لان من يلتزم يختار ويدافع عما التزم به تلقائيا . اذا الالتزام هو التلقائية .

عايدة : ما رأيك استاذ سركيس ؟

سركيس : في رأيي اننا متفقون جميعا على ان الفن للفن جميل . ولكن الفن للحياة اجمل . النقطة الثانية هي الفرق بين التوجيه والالتزام . التوجيه شيء – في رأيي – بعيد عن الالتزام . واحدد الالتزام بانه اعتناق مبدع انساني حر للموضوع . فان قلنا من حيث الابداع ان يكون النتاج الادبي مبتكرا ذاتيا فيقال ذلك من قبل هذا الاثر ومن بعد هذا الاثر . وان يكون انسانيا اي ان يلتزم من الشؤون التي يعنى بها الانسان في حياته الخاصة والعامة . وهنا نصل الى النقطة الثالثة ان يكون الاديب حرا غير مقيد وغير موجه كما هي الحالة في كثير من البلدان ، والعهود والازمان . اما النقطة الاخيرة وهي التبعة فالاديب كائن مسؤول تجاه نفسه وتجاه القارىء وهذه تبعة فنية وادبية تجاه المجتمع ، فالاديب عضو في مجتمعه عليه ان يساهم فيه وهو كائن اجتماعي على مستوى الافراد والجماعات . الاديب مسؤول امام الكائن الانساني العام لا يستطيع الانسان في القرن العشرين ، الانسان المنبري للكتابة ، لا يستطيع ان يقول – انا غريب عن الصين او الشرق او الغرب ، بل نحن في قلب الكينونة الانسانية التي اذبنا كينونته فيها وخصوصا في هذا العصر حيث وصلنا الى مستويات ومعطيات تقنية وفكرية لا يمكننا الا ان نتضامن على هذا المستوى العالمي . وفي رأيي وهنا ربما وصلنا لناحية تاريخية ، اعتقد ان غياب ارسطو عن الفكر العربي القديم وسببه سوء ترجمة ارسطو الى العربية عن السريانية ، هذا الغياب الارسطوطاليسي عن الفكر العربي والطغيان الافلاطوني على التفكير العربي اعتقد انه قد اسيء استعمال افلاطون بحيث اخذت عنه في تفكيرنا امثال هذه الاشياء المادية بشكل تجريدي ذهني غير نابع من قلب هذه الاشياء وانما هو نابع من مثال اعلى بعيد اجنبي ، اعتقد أن هذا التفكير الارسطوطاليسي الغريب عنا قد آذى الادب العربي المعاصر والقديم .

عائدة : قد يعترض البعض ان مسؤولية الاديب والتزاماته في هذا العالم يمكن أن تكتب في مقال سياسي او اجتماعي او في تحقيق علمي او في دراسة نقدية . وليس من الضروري التعبير عنها في قصيدة شعر أو رواية او قصة قصيرة . فما رأي ادونيس ؟

ادونيس : لا خلاف بيننا ما دام الادب هو والحياة – جوهريا – واحدا . ولا يمكن ان يكون هناك انفصال . فكل اديب ملتزم بطبيعته ، بعفويته . الالتزام شيء طبيعي وانساني .. انما اظن ان السيدة عايدة تشير الى ما يمكن ان نسميه ((الانخراط)) او لنقل : ايديولوجية . في كل الاتجاهات الايديولوجية الاديب منخرط الى حد ما.لان الايديولوجية ليست فقط نظرية وانما هي تطبيق . وبما انها نظرية وتطبيق ، فالكيان يتجسد في دوره ويحاسب الفنانين ويراقبهم . وبما ان الفنان يلتزم الحياة ويتفاعل معها ، فانه لا يلتزم النظرية لان ليس هناك نظرية كاملة وشاملة وجامعة بل النظريات تظل اضيق من الحياة .

عايدة : كلنا اذن متفقون على ان الاديب مسؤول حر يتأثر بالمجتمع ويعيش هذا ويعكسه بحرية . ولكن هذا المفهوم يقف عند حدود النظرية . اما عند التطبيق ولا سيما في بعض الانظمة فيحال بين الاديب وحريته بل يشوه مفهوم الحرية ويفترض ان الاديب لا يمكن ان يكون حرا ولا يمكن ان يكون ملتزما الا اذا تأثر بهذا المجتمع . وهكذا يفرضون عليه هذا التأثر وهذا الانعكاس .

سركيس : وهذا لا يبقي حرية .

مروة : هذا غير موجود عمليا .

عايدة : كيف ؟ ليس موجودا ؟

ادونيس : حتى لو وجد في فترة من الفترات فلن يكون الا تفسيرا سيئا وخاطئا للنظرية . فلو اخذنا ماركس لا يوجد أي نص (على حد علمي) يلزم الاديب ان يعبر تعبيرا مباشرا عن ارادة الدولة مهما كانت الدولة تقدمية .

عايدة : الم تأت فترات قيل فيها ان كل ادب غير ايجابي هو ادب غير صالح ؟

ادونيس : كان ذلك خطأ .

سركيس : انها من حوادث التاريخ المؤسفة في الادب . يحدث ذلك خاصة في العهود التي تعاني ثورات اجتماعية وسياسية كالتي حدثت في الاتحاد السوفياتي وفرنسا . وفي مختلف البلاد ، اعتقد ان الجوهر ، ان العطاء حر ومبدع وذاتي . مثال ذلك همنغواي الذي ركب في قارب واخذ يصارع الطبيعة والحيوان ومصيره . هذه القصة ذاتية. ((الشيخ والبحر)) من اروع القصص التي تروي النوع الذاتي للاعتناق الحر المبدع للفن الادبي عندما نراه يصارع مصيره كانسان يائس تعب. شيخ يصارع العناصر الطبيعية ، يصارع السمكة التي هي مثل قدره الذي يحاول اخذها وعندما اخذها وجدها منتهية . هذا النوع من الادب هو الذي يعبر عنه بالادب الحر الواعي المسؤول .

مروة : سنعلق على هذا المثال الذي ذكره الاستاذ سركيس . فهمنغواي عندما عرض الصراع وانتهى الى انتصار الانسان ، الم يكن هذا الانتصار منبعثا عن ايديولوجية اذا صح التعبير ؟ الا يعني هذا الانتصار ايمانه بالانسان ؟ اذا آمنا بحرية الاديب فيجب اذا ان نعطيه حرية الاختيار . وهذه النظرة في ان الانسان قادر على الانتصار على الكائنات الاخرى تتمثل هنا بابداع ادبي في ((الشيخ والبحر)) .

عايدة : اعود الى السؤال السابق : هل ترك للاديب دائما حظ اختيار العقيدة أو مفهومه للحياة عمليا ؟ هل حدث في التاريخ فعليا وعمليا ان عبر الاديب بحرية ؟

ادونيس : اجمالا لا .

مروة : بالعكس تماما .

سركيس : بين بين . احيانا ترك له الخيار واحيانا لا . ولكني اختار جوابا على ادونيس بيت شعر لشاعر يعجب بشعره ويحبه وهو ((سان جون بيرس)) وهو شاعر ملتزم بالشكل العام الذي تحدثنا عنه. كان هذا الشاعر موظفا في وزارة الخارجية الفرنسية ومضطرا الى معايشة ديبلوماسيين فقال : J'ai rendez - vous avec un insecte

(انني وحشرة على موعد) . فكلمة حشرة تعبر عن ثورة الشاعر تجاه البيروقراطية التي يعيش فيها وتدل على ظمأه الى الطبيعة وحاجته الى ان يعاصر الكائنات المعاصرة بمعناها الفكري . وقد اختار الحشرة من اصغر الكائنات ليدل على ان الشاعر اذا تعمق الحياة مال اليها بشيء من الحب والرحمة . واعتقد ان هذا الشاعر الذي يقال عنه انه منعزل وبعيد ومن صقيع احيانا كان في صميم ثورته ظمأ الى ان يعايش الكائنات في هذا البيت الذي اطلقه . واعتقد أن هذا البيت كان نتيجة اختبار طويل من المعاناة التي كابدها (سان جون بيرس) في اطلاعه على المآسي التي هزت الانسانية بين سنة ٣٩ و ٥٠ فاعتلج في نفسه الشوق الى الطبيعة المساله . وهل شيء ابسط من حشرة للدلالة على هذه البراءة والسذاجة الشعرية التي توخاها في عالمه مع انه يقال انه معقد؟

ادونيس : انا اظن ان هذا الموضوع لا يبحث الا اذا وضعنا امام اعيننا سلطة ما ازاء الاديب ، اما تقاليد وعادات واما سلطة سياسية هي ميالة الى الاشياء الايجابية التربوية . والفنان يرى الحياة بمنظار خاص . فليست هي كلها املا وفرحا ، بل في صميم الحياة يأس وبؤس وشقاء . فانا لا اعتقد ان كتابا كله تفاؤل هو كتاب جدير بالقراءة . هنا يمكن ان يكون التعارض بين حرية الابداع والسلطات . لقد حدث في التاريخ لكثير من الشعراء والمفكرين ان حيل بينهم وبين التعبير ، احرقت كتبهم ، قتلوا وسجنوا وشردوا ، باسم الايديولوجية او الدين او اشياء اخرى . حدث في العصور السابقة ويحدث في عصرنا في الدول الاشتراكية تحت ستار الايديولوجية صراع بين حرية الاديب وبين رأي السلطة . ونحن نجد دائما اخبارا عن ذلك . وانا اعتقد ، حيث يوجد هذا التوجيه وهذه السلطة التي تريد ان تفرض ارادتها على الاديب ، لا ينتج الا ادب يكون نوعا من التمجيدات لا فنا .

مروة : انا اعارض . لقد اتفقنا ان الاديب يقول ما يريد دون ان يعبأ بضغوط سياسية او اجتماعية . واقول انه اذا اتفق لاديب ان اقتنع باتجاه او رؤية معينة في الكون والحياة وكان فنانا بالمعنى الصحيح لا بد وان يعبر عن اتجاهه بصورة فنية سواء ضغط عليه ام لم يضغط ، وسواء كان الضغط سياسيا ام غير سياسي او اجتماعيا فكريا . وقد اتفق في التاريخ ان ادباء عبروا عن رؤاهم في حالة الضغط بطريقة الرمز او صراحة . وكانوا يقولون ما يريدون واستهتر الكثيرون في حالة الضغط في الخفاء او العلن او الثورة . ان الضغط لم يكن يمنع الاديب من ان يقول ما يريد ان يقوله . ولكن يصدف آن يكون هناك في مجتمع تسوده افكار معينة يمكن ان تستهوي كثيرا من الادباء فتكون اذ ذاك ايجابية بينهم وبين السلطة . وانا هنا ايضا اتكلم عن موقف الاديب الذي يلتزم دائما موقفا في التعبير عن ذاته اما تلقائيا واما بوعي . صحيح أنهم صدف ان كانوا يستشهدون كما قال ادونيس ولكنهم كانوا يقولون ما يريدون ولذلك استشهدوا .

ادونيس : هذا موضوع اخر . الاديب حتى في صمته يعبر عن ذاته .

عايدة : السؤال كان : هل ساد عصر في كل التاريخ اعطى حرية مطلقة دون تدخل اية سلطة سواء كانت دينية او سياسية ؟

مروة : انا افرق بين موقف الاديب وموقف الضغوط الاخرى . الاديب كان يقول ما يشاء بقدر ما هو قوي وما يستطيع . اما من ناحية الضغوط فقد مرت عصور كثيرة كان فيها ضغط . كان ذلك في مختلف العصور ولم يكن وقفا على عصر واحد .

ادونيس : بشكل عام .. لم يسبق للفنان ان امتلك الحرية بشكل مطلق .

عايدة : اعتقد ان الفنان لم يستطع ان يملك الحرية الكاملة منذ عهد الانبياء . فالكلمة في كل العهود كانت مقيدة ، ولكن ذلك لم يمنع الانسان من ان يعبر عن رأيه . فوقوع الضغط شيء ، والثورة عليه شيء اخر .

ادونيس : ما عدا في العصور الوثنية كانت حرية مطلقة . فالجاهليون مثلا كانوا احرارا يقولون ما يريدون . لم يكن هناك اي رقابة من اي نوع على الشاعر .

سركيس : كان في حالة الفطرة اكثر من حالة الحرية على ما اعتقد

مروة : في حالة الوثنية كان الاديب اجتماعيا اكثر بالفطرة .

عايدة : كيف ، الم تكن حماية شخصه مرتبطة بحماية قبيلته ومجتمعه ؟

سركيس : ولكن في عصرنا مجتمعات كثيرة وبيئات كثيرة يستطيع فيها الكاتب ان يقول ما يريد وان يعبر عما في نفسه على النحو الذي يريد فلا يتصدى له احد بخير او شر .

ادونيس : في اي مجتمع مثلا ؟

سركيس : مجتمعات معاصرة في عدد من البلدان الحديثة في انجلترا مثلا تستطيع ان تكتب كل ما تريد كذلك الحال في فرنسا .

ادونيس : حتى في باريس هناك رقابة على الفن .

سركيس : تقصد رقابة اخلاقية ؟

ادونيس : في مسائل الجنس والعلاقات بالدين لا توجد حرية مطلقة .

سركيس : اذا كان ما يكتب على مستوى فني كامل فهو يمر ولكن اذا لم يكن على مستوى ادبي فني فهو خاضع للرقابة .

ادونيس : ولكن المشكلة من هو هذا الذي يحدد المستوى الفني؟

سركيس : الفن .

دار مكتبة الحياة
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت

تستمر « دار مكتبة الحياة » بمفاجآتها الادبية الضخمة حيناً بعد حين.
فبالاضافة الى الموسوعات الكبرى التي وضعتها بين أيدي القراء العرب من امثال « الأغاني » و « محاضرات الأدباء » و « شرح نهج البلاغة » و « مجمع البيان في تفسير القرآن » و « تدهور الحضارة الغربية » و « معجم متن اللغة » و « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » و « مجمع الأمثال » وعشرات الكتب الغنية بالفكر الانساني ...

بالاضافة الى هذا الجهد الجبار تقدم لهذا الموسم الكتب التالية :

★ الامتاع والمؤانسة
★ الساق على الساق
★ شرح ديوان جرير
★ تاريخ غزوات العرب
★ الضوء اللامع (٦ مجلدات)
★ الحلل السندسية (٣ مجلدات)
★ خاص الخاص
★ الموشحات الاندلسية
★ مسند الامام زيد
★ ثلاثة قرون من الادب (مجلدان)

مع عشرات من الكتب الأخرى الموضوعة ، والمترجمة ، وكتب التراث العربي الزاخر .

فاطلبوا هذه الكتب من :

دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر - بيروت
لصاحبيها : يحيى وكاظم الخليل
شارع سوريا - بنايتا ثابت ودرويش - ص.ب ١٣٩٠ - تلفون ٢١٧٠٤٥ - ٢١٩٣٠
ومن جميع المكتبات الكبرى في العالم العربي

مروة : انا اريد ان احدد القضية بهذا الشكل : دائما المجتمع تسوده افكار معينة تمثل طبقة سائدة اما دينية واما ايديولوجية واما افكار معينة تتعلق بنمط حياة سياسية او نظام . ولكن كل مجتمع يحاول ان يحمي نفسه ممن يعارضون النظام . من هنا كان الاصطدام بكل اديب يعارض الفكرة السائدة . لا بد ان هناك صراع الدولة التي تمثل الفكرة والاديب الذي يعارضها وبمقدار نوعية هذا التصادم تكون حرية الاديب موضع تجربة واختبار .

ادونيس : ولكن نحن مع من ؟

مروة : هذا يختلف باختلاف نوع الفكرة السائدة . . اذا كانت الفكرة السائدة هي التي يعتنقها الاديب دافع عنها وكان موقفه ايجابيا. واذا كان غير منسجم معها فانه يعارضها ويقع الاصطدام .

ادونيس : انا من جهتي : اذا كان هناك تعارض بين اي فنان والسلطة فانني دائما مع الفنان نظريا وعمليا سواء كان المجتمع رجعيا او بدائيا او تقدميا ، مهما كانت هذه السلطة .

سركيس : انا ارى الفنان فنانا له الحرية المطلقة . لان الفنان اذا نزعت عنه صفة الفنان فقد حريته . على ان الحرية مستمدة من طاقته الابداعية . فهذا التجاوب بين الخلق والتحرر دقيق الى حد ان الخالق ـ ولنسمه الخالق ـ له الحرية ، حرية قول ما يريد على النحو المبدع الذي يريد . اذن هذه الحرية دقيقة الى حد انها موصولة بفكرة الابداع وحيثما سقطت فكرة الابداع عاد الانتاج الى شيء من الابتذال يقضي على هذه الحرية بنفسه .

مروة : اسمحوا لي ان اتحفظ برأي ادونيس . انه يقول انه يقف مع الفن والادب بشكل مطلق . فانا اقول بقدر ما تكون الفكرة السائدة تمثل قيمة انسانية ، فانا مع هذه القيمة الانسانية ، لا مع الفن بشكل مطلق .

ادونيس : الفنان يمثل قيمة انسانية .

مروة ـ ولكن هناك فرق : قيمة في خير الانسان ، او في شر الانسان . فاذا كان هناك نظام لصالح الانسان ، ويعارضه اديب لانتماء خاص ، فانا لا اقف مع الفنان رغم انني مع الفن من حيث انه قيمة جمالية انسانية . ولكن عندما تتعارض القيمة الفنية مع القيمة الانسانية فانا مع القيمة الانسانية .

ادونيس : نحن قلنا ان الفنان ملتزم ـ وملتزم انسانيا ـ فانا لا اتصور ان انتاج فنان يتعارض مع الانسانية ، انما يتعارض مع مواقف واراء سلطة مهما كانت هذه السلطة تمثل من قيم . فالفنان يمثل هو ايضا قيمة انسانية .

مروة : ماذا نقول في شاعر مثل « كبلينغ » الذي عبر عن قيم استعمارية ؟ ومع هذا فهو فني وشاعر . لا شك ان القيم التي يمثلها « كبلينغ » كشاعر تتعارض مع القيم الانسانية ولذلك لست مع القيم التي يعبر عنها هذا الشاعر باعتباره شاعرا يمثل فكرة الاستعمار . انا لا اقف مع شاعر يمثل هذه القيم مهما كان فنه عظيما . فاذا كنت تعتبر ان الفن قيمة انسانية فاية قيمة انسانية اذن في شعر يمجد الاستعمار؟ وهذا غير نادر الوجود .

ادونيس : هذا لانه منخرط وهو يخالف الفن لانه يبشر بقيمة لاانسانية ومنخرط باتجاه غير انساني .

مروة : اتفقنا اذن ... الانسان وليس انسانيا .

سركيس : اعتقد هنا ان موقفي هو التأييد المطلق للفنان لا لموقفه بل لحريته ان يقول ما يريد ضمن المستوى الفني الرفيع الذي يلتزمه. فليس من الضروري ان اوافقه على كل موقف ولكن اوافقه على اطلاق حرية هذا الموقف . والا فانها تصبح رأيا او رأيين او ثلاثة . في حين اننا اذا اطلقنا له حرية الموقف وابحنا لانفسنا حرية الموقف ايضا ، اصبح نوع من التحاور . ويقول فلوبير « انا حريص على حرية غيري ولو كنت على غير رأيه » .

ادونيس : انا ساعطي مثلا اخر بالمقابل . في النظام الاشتراكي وعندنا في المجتمع العربي احداث مثل فلسطين ، التأميم ، العدوان ، الثورات ، الحركات ، احداث هائلة خلال ١٥ سنة . وكان هناك موجة من الرأي تقول انه يجب ان نغني هذه الاحداث ونمجدها . في الواقع مرت فترة كان كل شخص في الثورة الجزائرية مثلا ـ التي هي اعظم حدث في تاريخ العرب بل العالم بالفعل ـ كان هناك موجة عارمة جدا تقول انه من لا يغني تلك الاحداث لا يكون فنانا وليس مخلصا للقضية العربية ايضا . وغنى كثير من الشعراء هذه الاحداث ، والان نستطيع ان نحكم على هذا النتاج . وانا اتصور انه لم ينتج عن هذه الاحداث على الرغم من اهميتها وعظمتها اي نتاج ادبي ذي قيمة .

سركيس : اعتقد ان هذه الثورات جميعها كانت في مستوى اعلى من المستوى الضحل الذي بلغه هذا النتاج . الثورات كانت اعظم من النتاج الفكري والادبي .

ادونيس : بالفعل .

عايدة : تعتبر الفترة التي غنى فيها الشعراء والفنانون هذه الانتصارات من اخصب الفترات التي عاشها الشعب العربي . وكان الاديب، باعتباره فردا وانسانا من هذا الشعب، مرغما في التعبير عنها. فالاديب الذي عاش العدوان والتأميم على اعصابه وبالامل والقلق كبقية الناس قد اعطى نتاجا ادبيا يتسم بتلك الاحداث التي تعايشه او يعايشها. كان شيئا طبيعيا ان يعبر عن هذا بشعر او قصة وليس من الطبيعي ان يقف جامدا لا يطلق كباقي الناس اي صوت او صرخة او يكون له منها موقف . من الممكن انه لم يعط انتاجا فنيا مئة بالمئة الا انه تفاعل مع الاحداث واعطى نتاجا يمثل تلك الفترة التي عاشها . قد تكون الاحداث اضخم بكثير من شخصيته الادبية . وقد تكون الفترة الزمنية التي انتج فيها قصيرة الى حد لم تتح له ان تختمر في ذهنه . على اننا اذا راجعناها اليوم نجد أن الاديب الذي سيتكلم عن العدوان لن يصوره بمثل تلك الحرارة والتلقائية والتدفق . وهذا يدل على وجود ادب لم يكتب فقط لان الاديب وجد ان الجميع يكتبون هذه المواضيع ، بل كتب باخلاص واندفاع . واذا كان من حق الاديب الذي لم يتجاوب فنيا مع تلك الاحداث الا يتهم بالخيانة او الانعزال ، فمن حق الناس ايضا الا يتجاوبوا معه وان يعزلوه لانه هو قد عزل همومهم . وقد عرفت تلك الفترة انتاجا صادقا فيه حرارة وفيه فن وان كان قليلا .

ادونيس : الاحداث اثرت في كل فرد عربي ولكن الانتاج الادبي كان مدفوعا بموجة عامة اكثر مما كان منبعثا من حرارة داخلية واختمار داخلي ولذلك كان التعبير بشكل عام (هناك استثناء) ليس بذي قيمة فنية اطلاقا وقد كتب بدافع الموجة العامة اكثر مما كتب بدافع فني صحيح .

عايدة : ولكن كيف خلقت هذه الموجة وهذا الدافع حتى تصبح موجة عارمة ؟ كيف تسنى للاديب أن يتبع هذه الموجة ؟ اليس هو جزءا من الناس الذين تحمسوا لها ، فعبروا عنها بالهتافات او الفرح وعبر هو عنها بالادب ؟

ادونيس : ان الفنان عندما يعاصر مثلا معركة السويس او الثورة الجزائرية فان هذه الاحداث تتفاعل في نتاجه بشكل اخر وغير مباشر اي ان بامكان هذه الحادثة العظيمة ان يراها لا في سطحيتها بل من خلال اعماقها وتأثيرها في الحياة العربية .

عايدة : الا تعتقد انه لا بد من انقضاء فترة اختمار ، تلك الفترة التي لا يمكن ان تتوفر ابان المعركة ؟ اذن فالفنان لا يستطيع نفسيا الا ان يعبر عن هذه المرحلة بنتاج خاص ، وان لم يستوف جميع الشروط الفنية .

ادونيس : لكنه يستطيع ان يعبر عنها بطريقة غير فنية كان يذهب الى القتال مثلا ويحمل السلاح ويدافع عن وطنه !

عايدة : لا نستطيع ان نعتبره جنديا ولا مقاتلا بل اديبا وان لم يبلغ مستوى الكمال . هو داخليا مضطر الى ان يعبر عن عواطفه واحاسيسه وافكاره .

ادونيس : ما يقوله ليس فنا بل هو كلام لا اكثر .

عايدة : هل الذي قاله في اوقات اخرى كان اكثر فنية ؟ وهل

صحيح ان كل ما قيل ليس فنيا ؟

سركيس : هذا راجع الى ان الذين صنعوا هذه الاحداث والتاريخ كانوا اعظم من الذين تأثروا به بوجه الاجمال .

مروة : انا اوافق على ان النتاج الادبي لا يعبر عن هذه الثورات والاحداث العظيمة في البلاد العربية فهو دون مستوى الثورات والنضالات ولهذا استثناءات طبعا . لكن سبب ذلك تلاحق الثورات وسرعتها بحيث سبقت مدى الرؤية النافذة عند الادباء والشعرا . كثيرون استجابوا لمجرد الظهور وبعضهم استجاب متأثرا ولكن تأثره سطحي ناشيء عن عدم الرؤية الصحيحة لمصادر هذه الثورات ولافاقها . فكان انفعالات جزئية عابرة . فالادب الذي يعبر عن هذه الانفعالات العابرة ، لا يبقى فيكون غنائيا سطحيا . لذلك اعتقد كما اشارت السيدة عائدة الى انه ليس هناك اختمارات كافية لتخرج ادبا عظيما حيث القيم الفنية . ولكن هذا يرجع الى ان كثيرا من الشعراء الذين اشتركوا في المعركة لم يكونوا ضمن هذه المعركة وفي داخلها . لكن اذا رجعنا الى اناس عاشوا التجربة كشعراء فلسطينيين كهارون هاشم رشيد في قصيدة « راجعون » او « لماذا » فانا اعتقد انه عبر عنها تعبيرا قويا وفنيا .

ادونيس : في رأيي – في هذا المجال – ان لبدر شاكر السياب المكانة الاولى .

مروة : فعلا . ففي كثير من شعره يصف هذه التجربة لانه عاش فيها ولكن هذا لا يعني ان الادب العربي في خلال هذه الفترة كان ضعيفا فنيا بسبب التزام الادباء . ليس الالتزام هو سبب الضعف فيه . كان من الممكن ان يؤدي الى اعظم من هذا لو ان الانصهار في التجربة كان انصهارا كليا . بل هي انفعالات جزئية ما بلغت اعماق القضية .

ادونيس : ولكن هذا ليس ذنب الالتزام طبعا .

سركيس : بل هو عدم الالتزام الكافي .

ادونيس : عدم العمق في الالتزام .

مروة : صحيح تماما . ولكن نكبة فلسطين لم تنتج ادبا عميقا . صحيح ان الجزائر انتجت ادباء جزائريين لانهم كانوا في قلب المعركة اما البعيدون عن المعركة فلم يحسوا احساسا صحيحا سوى بمظاهر وشعور بان يقولوا شيئا . فمثلا كاتب ياسين ومحمد ديب وغيرهما عبروا تعبيرا عميقا صادقا وفنيا عن الثورة الجزائرية .

عايدة : هل نستخلص من هذا ان الفترة الاخيرة لم تنتج ادبا فنيا ؟ ولكن الا يمكننا ان نسجل مع ذلك اسم اكثر من اديب التزم قضايا تلك الفترة واعطى ادبا يتسم برصيد فني ، هو ذلك الرصيد الذي لا يمكن لطاقاته الابداعية ، في اي اتجاه اخر ، ان يعطي خيرا منه؟

مروة – ادونيس – سركيس : لقد قلنا ان هنالك استثناءات .

عايدة – هذه الاستثناءات ، وهذه التفردات هي التي نقيم لها الاسباب ، وهي التي يسجلها التاريخ العربي . واحب ان اسأل الاستاذ مروة ان يوضح رأيه حينما تحدث عن الثورة الجزائرية . واري اننا ، بذلك نصل الى صميم موضوعنا وهو علاقة الادب بالحياة هل يجب ان الفنان ان يعيش هذه الحياة ليكون فنه فنا ؟ فمثلا هل يجب على الاديب ان يعيش الثورة الجزائرية ليعكس ادبا فنيا معبرا عن هذه الثورة او هل يجب ان يكون الكاتب فلسطينيا حتى يعبر عن النكبة ؟

مروة : لا اعني ان الفنان يجب ان يكون في قلب التجربة عمليا ومباشرة ، بل ان يتحسس القضية التحسس الكامل ويكون بعيدا عنها لكن يعانيها ويفهم افاقها ويعيشها وجدانيا .

سركيس : وحجر الزاوية فيها ان يكون عنده موهبة .

مروة : هذا طبيعي .

سركيس : هذه نقطة مهمة جدا . مثلا « مالرو » سنة ١٩٢٣ تحسس القضايا الاسيوية التي تجري اليوم وكتب في La Condition Humaine واطلق رائعة في خاتمة الكتاب post face « فما يبدو الان في اقصى اليسار سيصبح بعد عشر سنوات في اقصى اليمين وهكذا دواليك .. » لقد عانى الرجل هذه الحقيقة ولم يقم في الشرق الاقصى اسابيع او أشهرا . ولكن اوتي مع المعاناة ، المعاصرة على مسافة بالموهبة، فالموهبة الجذرية الخلاقة . ولكن المشكلة عندنا اننا نطلب من ٧٠ مليونا ان ينتجوا كمية صناعية من الانتاج ويكون فنيا . فمن المعقول اننا نطلب اكثر مما هو مفروض لنا . ونحن ما نزال في مجال الفربلة السريعة – غربلة المعركة – من المؤسف اننا سنتبين الكثير من الغبار . هنا استثناءات رائعة واروعها « بدر » لانه احس ، وخصوصا في القدس ، مأساة بيت المقدس بشكل غريب .

مروة : نستطيع ان نعود الى قصائد الجواهري سنة ١٩٤٨ في حركة « وثبة » التي قتل فيها شقيق الجواهري ، فقد عبرت تعبيرا عظيما عن تجربة دخلت في وجدانه دخولا عميقا وصارخا . لذلك عبر عنها تعبيرا صادقا .

عايدة : ومثلا اديب نحوي عبر اروع تعبير في قصتيه الاخيرتين « حتى يبقى العشب اخضر » و « جومبي » عن تجربة الانفصال وتعلق الشعب العربي في سوريا بالوحدة . والان اعتقد اننا استطعنا الخروج بنتيجة . فجميعنا متفقون عليها بالرغم من ان لكل واحد منكم اتجاهه التطبيقي الخاص للادب .

مروة : ولكن الملتقى هو واحد .

عايدة : وحتى لا تكون اجوبة كل منا مبهمة غامضة او يشوبها بعض الالتباس ، فانني اعود فاسأل الاستاذ مروة : انك لا تؤمن بفكرة الفن للفن او الادب للادب كالمدرسة الحديثة التي هي ردة فعل على نظرية الادب الملتزم ، او الادب الخادم ، او الادب المنضوي ، او الاسماء المختلفة التي اتخذتها مدرسة سارتر وغيرها . وهذه المدرسة الجديدة تقول ان الاديب (مثلا في « الرواية الجديدة » منذ روب غرييه وزملائه) ليس من الضروري ان يعبر عن شيء ما فهو يكتب لانه يحلو له ذلك . « انا اكتب من اجل لاشيء » .

مروة : حتى ولو قال انه لا يكتب لشيء فانه يكتب لشيء لان هناك شيئا ما يقوله . هذا الكلام نظري وليس له اية قيمة عملية .

ادونيس : ان روب غرييه يقول لا يجوز حتى ان نعبر عن شيء او عن موقف فلسفي في حد ذاته .. اذ العالم لا يوجد له معنى ورسالة الاديب وموهبته ان يصفه ويقدمه كما هو وكل تجميل للعالم يفرض عليه معاني فكرية فهي دخيلة على العالم ولا يجوز ادخالها .

مروة : هذا موقف صادر عن فلسفة معينة .

ادونيس : وهذا الوجه الاخر لنظرية الفن للفن .

سركيس : هذه الحركة ناتجة عن الازمات التي حصلت بعد الحرب العالمية الثانية في اوروبا والناشئة عن ظهور الفكرة العدمية في حد ذاتها لدى كثيرين في المجتمع . اما عندما تعطي شيئا رائعا فان هذا الاثر سيقرأ على روعته العدمية .

ادونيس : الادب في الرواية الجديدة تكنيك خالص ولاانساني وانا اعتقد ان هذا يدل على انحطاط الادب الفرنسي بشكل خاص .

عايدة : اخشى ان نخرج الان عن صميم موضوعنا ، فاسمحوا لنا ان نقف عند هذا الحد . وانا اشكركم جميعا باسم « الاداب » وقراء « الاداب » .

في البحرين

تطلب « الاداب » وكتب « دار الاداب »

من

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المتنبي